# التقنية المعاصرة , بين جودة الحياة واغتراب الإنسان , مارتن هيدغر انموذجا

# Contemporary technology, between the quality of life and the alienation of man , Martin Heidegger as a model

**بركات رابح**

**جامعة محمد بن أحمد2 وهران( الجزائر)، barkatrabah@yahoo.fr**

تاريخ الاستلام: 2021/11/03 تاريخ القبول: 2022/05/05 تاريخ النشر: 2022/07/31

**الملخص:**

لا يمكن أن نختلف في أن التقنية بمفهومها المعاصر تعتبر أهم عنصر في تحقيق جودة الحياة , وضمان القدر الممكن من تحقيق الماديات والضروريات التي يحتاجها الانسان في حياته اليومية , لكن عند التطرق لهذا الموضوع من وجهة نظر الفلسفة والقيم ,سيبدو جليا تلك المفارقات التي أدت إليها التقنية , حيث تزامن تطور التقنية مع ظهور مجموعة من المفاهيم , التي طبعت العالم بطابع مأساوي تراجيدي ومن بين هذه المفاهيم , موت الإنسان , والفردانية , والاغتراب , واللاإنسانية وغيرها من المفاهيم التي أشرفت على أكبر عملية إفراغ للإنسان من محتواه الروحي , وعملت على اغترابه من حقيقته كإنسان , لذلك كان لزاما على الإنسان من مسايرة التقنية بمفهومها المعاصر من خلال إعادة بعث الروح الإنسانية , وإنقاذ ما أمكن إنقاذه من الإنسانية التي فقدها بسبب التطور الهائل للتقنية وسيطرتها على نمط تفكيره .

**الكلمات المفتاحية:** التقنية ,جودة الحياة , اغتراب الانسان , العلم , الفلسفة .

**Abstract:**

We cannot disagree that technology in its contemporary sense is considered the most important element in achieving the quality of life, and ensuring the possible amount of material and necessities that man needs in his daily life. Technology, where the development of technology coincided with the emergence of a group of concepts, which imprinted the world with a Tragic and depressing characte. as a human being.

**Keywords:** Technology, Quality of Life, Alienation Science, Philosophy

## 1.مقدمة:

حينما نتحدث عن الفلسفة من منظور تاريخي نجد أنها في جلها بحث عن الحقيقة حقيقة تحاول أن تجيب عن مختلف التساؤلات والإشكالات العالقة التي طالما أرقت الانسان , تساؤلات تبحث عن إجابات تحاول أن تصل بالإنسان أقصى مستويات الكمال الإنساني على جميع المستويات , لكن هذا لم يكن دورا يخص الفلسفة فقط , بل كان العلم أيضا يحاول أن يرقى بمستوى الحياة اليومية الى الأفضل من خلال تحسين مستوى جودة الحياة , لذلك غالبا ما ارتبط مفهوم جودة الحياة بمفهوم التطور العلمي وهي حقيقة مثبتة فعليا عندما ننظر الى مستوى الحياة اليومية التي تعيشها المجتمعات التي حققت قفزة نوعية في التطور العلمي .

وتعتبر التقنية بمفهومها المعاصر إحدى أهم المفاهيم التي تحاول أن ترقى بمستوى جودة الحياة اليومية , باعتبارها أحد أهم المفاهيم الأساسية التي يستخدمها العلم من أجل تحقيق أهدافه , هذا الحديث يستلزم أنه كلما تقدم العلم واستخدم التقنية يتحقق لنا أرقى المستويات لجودة الحياة , لكن في ظل ما يشهده العالم من تقدم علمي هائل ومن تطبيق للتقنية في جميع المستويات نجد الإنسانية تعاني أسوء أيامها من الإغتراب وموت للإنسان , والفردانية واللإنسانية وغيرها من المظاهر التي طبعت العالم بطابع مأساوي تراجيدي ومزقت الإنسان وجعلته في حالة اغتراب عن حقيقته كإنسان .

لذلك يبدوا ذلك التعارض الواضح بين ما تصبو اليه التقنية والعلم , وبين الواقع الذي يعيشه الانسان اليوم , هذه التقنية التي ضربت القيم الانسانية عرض الحائط وخاصة إذا نظرنا الى الواقع من منظار الفلسفة والقيم , حيث يمكن اعتبار التقنية أكبر عملية إفراغ لمحتوى الانسان من محتواه الروحي , فالحربين العالميتين أكبر دليل على تمرد التقنية .

هذه الاشكالية طرحت كثيرا على مستوى الفلسفة المعاصرة , وخاصة وأن التقنية لم تعد مجرد أداة لتحقيق أهداف معينة بل أصبحت أيديولوجيا , جعلت من الطبيعة مستودعا للطاقة بما في ذلك الانسان .

ومن خلال هذا يمكن التساؤل : لماذا أصبحت التقنية المعاصرة أحد أهم أسباب اغتراب الانسان عن حقيقته كإنسان , بدلا من أن تكون ذلك الهدف الذي يحاول أن يحقق أرقى إمكانات جودة الحياة على جميع المستويات ؟.

## 2-التقنية من مجرد مفهوم بسيط الى أيديولوجيا :

التقنية مصطلح مشتق من الأصل اليوناني "technikos" وتعني الفن والصناعة والتقني هو صفة أو كيفية فنية أو علمية او صناعية متعلقة بإتقان العمل , ويصطلحها فلاسفة الإسلام على العلم ايضا , يقول ابن سينا: "العلم الطبيعي صناعة نظرية" (صليبا، 1982, ص 329 ), لذلك فالتقنية و منذ العهد اليوناني لم تكن إلا مجرد صناعة وفن .

ولكن التقنية ومنذ العصر الحديث أصبحت مرتبطة أكثر بالمجال العلمي حيث تعتبر ما يهيئ أسباب العلم , وفي نفس الوقت فإن العلم في حد ذاته يسعى إلى الكشف عن تقنيات جديدة في الكشف عن الحقائق العلمية , وتكون نتائج العلم أكثر دقة كلما تقيدنا بالطرق التقنية المستنبطة من العلم , ومن خلال هذا التعريف الإصطلاحي يمكن ملاحظة العلاقة الوثيقة بين التقنية والعلم , فالعلم أنتج التقنية وجعلها في خدمته من أجل الوصول نتائج أكثر دقة , وهو ما يؤكده هيدغر , فالتقنية في القديم وحتى العهد اليوناني لم تكن مرتبطة بالعلم بل كانت مجرد طريقة وكيفية يمكن لأي كان أن يتقنها ويتوصل من خلالها الى نتائج مرجوة أما منذ العصر الحديث , ارتبطت التقنية ارتباطا وثيقا بالعلم (أحمد، 2006 ص102).

أما مفهوم "مارتن هيدغر" للتقنية فيمكن أن نستنتجه إنطلاقا من أولى المحاضرات التي القاها بعد الحرب العالمية الثانية , في 1ديسمبر 1949 تحت عنوان "الخطر" ليعيد "هايدغر" نشر هاته المقالة بعد تعديلها تحت عنوان "السؤال عن التقنية" يوم 18نوفمبر 1953 (هيدغر، 2003 ص 149), وذلك بالرجوع الى الاصل الاشتقاقي للكلمة مادامت كل طرق الفكر عند "هيدغر" تمر عبر اللغة .

يشير مارتن هيدغر إلى أن السؤال عن التقنية هو سؤال عن ماهيتها , وماهية التقنية ليست هي التقنية ذاتها , فهي ليست شيئا تقنيا , أي أن ماهية التقنية تكون بالعودة الى اللفظ في حد ذاته , وليس العودة الى التقنية كظاهرة فهي قديمة قدم الإنسان , كما أنها ليست مجرد طريقة أو كيفية علمية أو فنية , بل إنها وسيلة لبلوغ غايات معينة , وكذلك هي فاعلية إنسانية , وهو ما يسميه مارتن هايدغر التصور الاداتي "istrumentum" (هيدغر، 2003 , ص 172) .

يقول هيدغر بأن التقنية "تلك الانتاج الفني والعقلي واليدوي لمجموعة من الوسائل التي تستخدم لأغراض عملية تطبيقية , والتي يستعين بها الإنسان في عمله لإكمال قواه وقدراته , من أجل تلبية تلك

الحاجات التي تظهر في إطار ظروفه الاجتماعية ومرحلته التاريخية الخاصة "( أحمد، 2006 ص 97), أي أن التقنية بالإضافة الى انها وسيلة وفاعلية إنسانية فإنها كذلك حتمية اجتماعية , تدعو لها ضرورات العصر, ويضيف هيدغر تعريفا مهما للتقنية , من حيث هي طريقة للكشف , أو هي كشف غير محجوب إنها الحقيقة في المكان تنشر وجودها بشكل منظم , إنها نهاية لكل ميتافيزيقا .

ولذلك أعطى هيدغر دلالة ميتافيزيقية للتقنية من حيث أنها تتمثل في العلاقة بين الإنسان الحديث والعالم المحيط به , حيث أصبحت هي الوسيلة الأهم للولوج الى العالم وكشف خبايا (عدالة، سنة 2012 , ص112)

## 3 -حدود التقنية:

إن التقنية بما هي كيفية وأداة , فإن غايتها الأساسية هي تطويع الطبيعة ومدخراتها لخدمة الإنسان والرقي به نحو معيش أفضل , لكن مع وصول التقنية الى ذروتها في المرحلة المعاصرة وتطويع كل ما أمكن تطويعه لصالح خدمة الإنسان نجد أنه حدث العكس من ذلك , حيث عملت التقنية على إفراغ محتوى الانسان من إنسانيته وجردته من قيمه الإنسانية , وأكبر دليل على ذلك ما حصدته الحربين العالميتين من أرواح للبشر وما صنعه الإنسان من قنابل ذرية تهدد الحياة الإنسانية وتنذر بحرب كونية , وهذا ما تحملت مسؤوليته الفلسفة المعاصرة , التي حاولت أن ترد للإنسان كرامته الضائعة , وتعتبر الوجودية من أهم الفلسفات التي حاولت ان تلعب هذا الدور الأساسي , وذلك بتركيزها إنطلاقا من حرية الإنسان ( بنعبد العالي، 2000 , ص13) وبهذا تظهر التقنية على أنها انكشاف لما تخفيه الطبيعة من حقيقة بتعبير هيدغر أي ظهور الحقيقة من الخفاء اللاخفاء والكشف هو "alètheia" وهو مصطلح يطلق على الحقيقة عند هيدغر (هيدغر، 2003 , ص155 ), وبذلك فإن التقنية هي كيفية وطريقة يظهر بها الوجود الإنساني كمستودع من الطاقة بل وحتى الإنسان ذاته أصبح جزءا من هذا المستودع , مما جعل حياته في خطر وقلق دائم.

وبهذا فإن التقنية ستكون عائقا لحرية الإنسان , وهو ما يتعارض مع قول الوجوديين بحرية الإنسان وربط حريته بالضرورة (مهران , سنة 2003 , ص108), وعند هيدغر ترتبط الحرية بشكل كبير بمفهوم الالتزام , حيث أن وجودي كإنسان حر هو العيش مع الآخر في حدود الحرية.

ومن خلال هذا يمكن القول أن التقنية أصبحت تهدد الوجود الإنساني سوآءا بوعي من الإنسان أو بغير وعي منه , لذلك يقول هيدغر:" ومهما فعلنا فسنبقى خاضعين للتقنية ومحرومين من الحرية سوآءا دافعنا عنها بانفعال او أنكرناها" (هيدغر،سنة 1984 , ص155)

من خلال ما سبق يمكن القول بأن التقنية خرجت عن مفهومها الطبيعي وأصبحت عبارة عن أيديولوجيا وخلفية فكرية لكل المجتمعات التي تقدمت فيها تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في معيش الانسان اليومي , وفي المقابل نجد المجتمعات التي لا تعتمد على التقنية تعاني أشد انواع التخلف الاجتماعي , مما جعل التقنية تظهر كحتمية يجب مواكبتها .

## 4-التقنية والنزعة الانسانية:

كما أشرنا سابقا بأن الفلسفات المعاصرة بالرغم من اختلافها وتعددها جاءت كلها من أجل هدف واحد وهو محاولة إعادة إنسانية الإنسان التي فقدها في ظل تقدم التقنية حيث كانت للفلسفة الوجودية كلمتها في ذلك , من خلال التركيز على الإنسان وما يعيشه و يواجهه في معيشه اليومي.

يعرف هيدغر النزعة الإنسانية في نص له يرجع الى سنة 1938 بأنها:" ذلك التأويل الفلسفي للإنسان , الذي يفسر ويقيم كلية الموجود إنطلاقا من الإنسان وفي اتجاه الإنسان" (الداوي , سنة 2000 ص 43) حيث تركز فلسفة هيدغر على الإنسان باعتباره الموجود الوحيد الذي يمكن أن ينفتح عن الموجودات الأخرى , حيث يقول هيدغر:" بأن كل تعيين او تعريف لماهية الإنسان لا ينطلق من حقيقة الوجود Vérité de l'Etre ويتناساها فهو بالتأكيد نزعة إنسانية وميتافيزيقا" (الدواي , سنة 2000 ص 14 ), أي أن النزعة الإنسانية هي كل ما يهم الإنسان انطلاقا من الإنسان ذاته , وكل ما يعزز وجوده وبذلك فإن النزعة الإنسانية نست الوجود الذي يعيش فيه الإنسان , أي النزعة الإنسانية هي بدورها تدخل ضمن دائرة الميتافيزيقا كغيرها من مظاهر الفكر الغربي بدءا من الفلسفة الى العلوم و الفنون وكذلك التقنية , حيث انها كلها ساهمت في "نسيان الوجود" (الدواي , سنة 2000 , ص 45) ولذلك فإن اهتمام هيدغر بالإنسان كموجود يمكنه الانفتاح عن الوجود , لم يكن إلا من أجل التمكن من فهم الوجود.

إن فهم هيدغر للنزعة الإنسانية يضعها جنبا الى جنب إلى جنب مع التقنية ويصنفهما ضمن دائرة الميتافيزيقا مع مختلف مظاهر الفكر الغربي التي نسيت الوجود حيث كان للتقنية تأثيرها المباشر على النزعة الإنسانية , فالتقنية اكتسحت الوجود المعاصر ليس كحتمية تاريخية أو مؤامرة احد ضد الآخر , "

وإنما لقدر تاريخي اندلع يوم اتخذ الوجود صبغة رياضية . فتعينت علاقة للإنسان بالإنسان جديدة "(بنعبد العالي سنة 2000 , ص10).

من خلال ما سبق فإن التقنية انتجت لنا إنسانًا مغايراً , تربط بينه علاقات رياضية كانت نتيجة لتغير اقتصادي واجتماعي وسياسي وثقافي , تبلور عن هذا التغير إعادة لتنظيم المكان والزمان تغييرا يتماشى مع روح هذا العصر , وفي المقابل أيضا تمكنت "التقنية والعلم كأيديولوجيا" (هابرماس , سنة 2003 , ص 43) , أن تؤثر على الفكر البشري بصفة عامة وسقفت أفقه في إطار تقني وعلاقات رياضية , رغم انه هو من انتج هذه التقنية.

## 5-الانسان بين الفلسفة والتقنية :

دائما قبل الخوض في أي موضوع عند هيدغر يجب أولا أن نضبط معنى المصطلح الذي نريد الخوض فيه , ذلك أن لهيدغر منظومة خاصة من التعاريف التي يعتمدها في فلسفته , والتي في غالبها تتميز بالغموض وصعوبة لغة تعريفها.

أراد هيدغر إعادة طرح سؤال الكينونة من خلال كتابه الأساسي " الكينونة والزمان" عام 1927 , ليحاول بذلك إعادة هيكلة أنطولوجية أساسية لفلسفته منطلقا بذلك من نقطة أساسية وهي الدزاين "Dasein" , (موجود – هنا , أو الكينونة هنا) , تلك الكينونة التي يمكنها الانفتاح على الموجودات الأخرى وجلبها من الخفاء الى اللاخفاء (الكشف) ولذلك يقو هيدغر: "إن الدرب الذي أود الآن الإشارة إليه يوجد مباشرة أمامنا , ولأنه هنا , وعلى مقربة منا .."

إن الدازاين هو امكانية كينونة , هذه الكينونة التي يتصرف إزاءها بهذا الشكل أو ذاك هو دائما يتصرف بطريقة ما , هي ما نسميه الوجود "Existenz" (كونزمان، 2007 ص 209), أي أن الانسان كائن ملقى به في الوجود بتعبير هيدغر , ولا يملك حرية اختيار وجوده , بل إن الوجود هو ما يحدد هذه الإمكانيات , وبما أن الإنسان موجود في العالم فإنه يجب عليه أن يتعاطى مع الموجود وهو ما يطلق عليه هيدغر " الأداة" , "Zeug" (كونزمان، 2007 ص 209)

من خلال ما سبق يمكن أن نحدد موضع الانسان بين الفلسفة والتقنية من منظور هيدغر , حيث أن فلسفة هيدغر _كغيرها من فلسفات القرن العشرين الباحثة عن الحقيقة في ظل التعدد والاختلاف_ تنطلق من الإنسان لفهم الوجود هذا الإنسان الذي لا يمكنه أن يتحقق كذات إلا عندما ينفتح عن

الموجودات الاخرى بحرية , في حين أن التقنية أصبحت تعمل كأيديولوجيا تحد من حرية الإنسان وتجعل منه مجرد أداة .

وخاصة مع التقنية الحديثة فإن الموجود بما في ذلك الإنسان سيبدو في حالة "Gestells" أي في حالة الخطر (هيدغر، 2003 ,ص249) , ومنه فإن الإنسان كموجود يصبح مادة بناء واستخدام كباقي الموجودات التي تستخدمها التقنية من أجل النجاح لذلك أنتجت لنا هذه التقنية إنسان صناعي أداتي , تحكم علاقاته أرقام رياضية , تجعل من الآخر بما في ذلك التقنية حدا وإنقاصا من حريته في الوجود , مما يجعل الإنسان في حالة من الخطر الدائم .

إن الانسان اليوم ليس مطالبا بالتخلي عن التقنية حتى يستعيد قيمته الروحية , بل هو ملزم بمواكبتها و اعادة ترشيد استعمالها دون إفراط في ذلك , فالتقنية تتوقف على نمط استعمالها , وفي كثير من المواقف هي من أنقذته وجعلت من حياته أكثر سهولة واختصارا .

## 6.خاتمة :

من خلال ما سبق يمكن ان نقول بأن هيدغر تمكن من صناعة فلسفة خاصة به مليئة بالمصطلحات الخاصة به , فلسفة تجعل من الإنسان أولوية خاصة , ذلك أنه المدخل إلى دراسة الوجود , إنطلاقا من تقويض جميع مظاهر الميتافيزيقا , ويدخل ضمن هذه الميتافيزيقا كل مظاهر الفكر الغربي التي كانت سببا في "نسيان الوجود" , إنطلاقا من "أفلاطون" ووصولا الى "نيتشه" , بما في ذلك التقنية.

إن التقنية التي يتحدث عنها هيدغر ليست هي العلم في حد ذاته , وليست هي التكنولوجيا بالمعنى الحديث , التقنية هي فاعلية إنسانية وأداة كما أنها تجلي وانكشاف للحقيقة , وكأن التقنية أصبحت عبارة عن أيديولوجيا تفرض نفسها على روح العصر بالرغم من أنها من إنتاج الإنسان ذاته .

لذلك فإن هيدغر يعنون مقالا له عن التقنية بعنوان الخطر قبل أن يقوم بتعديله ويعنونه ب"السؤال عن التقنية" , يؤكد فيه أن التقنية اتسعت دائرة حدودها لتشمل بما في ذلك حرية الإنسان في علاقته وتعاطيه مع الوجود , وهو أمر تؤكده مظاهر الاجتماعية التي آل اليها المجتمع الغربي , إنطلاقا من الحربين العالميتين الى عصر القنبلة الذرية والاستنساخ وغيرها , حيث تعمل التقنية على تطويع مدخرات الطبيعة بما في ذلك الإنسان لخدمتها ومن أجل نجاحها , لذلك فإن التقنية تدخل في دائرة الميتافيزيقا.

أدت هذه التطورات التي حصلت في العالم وأفرزت الحربين العالميتين وغيرها من مظاهر الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة , الى ظهور النزعة الإنسانية التي تحاول أن ترجع القيمة الروحية للإنسان التي فقدها , إلا أن هيدغر يرى بأن هذه النزعة الإنسانية ماهي إلا مجرد إفراط للإنسان في إنسانيته , فقد نست الوجود الذي يعيشه الإنسان وركزت جل اهتمامها على الإنسان , لذلك فهي تدخل في دائرة الميتافيزيقا الى جانب التقنية , واهتمام هيدغر بالإنسان يعود لكونه الموجود الوحيد الذي يمكننا من خلاله فهم الموجود .

ولذلك فإن فلسفة هيدغر تقوم أساسا على فهم الوجود إنطلاقا من الموجود الذي هو الإنسان , والذي يتعاطى في هذا الوجود الذي القي فيه من غير حريته فحريته متعلقة بالإمكانات المتاحة له في الوجود , فهو من يكشف وينير الأشياء ويجلبها من الخفاء إلى اللاخفاء , إلا أن التقنية حدت من حرية هذا الإنسان في علاقته بالوجود وجعلت منه مجرد وسيلة لخدمة غاياتها .

إن الاغتراب الذي تعانيه الانسانية اليوم ليس سببه التقنية في حد ذاتها أنما سببه هو الاستعمال السيء لها , لذلك كان لزاما إعادة ترشيد استعمال التقنية _ إن صح التعبير _ لا على حساب القيمة الروحية للإنسان , فالتقنية في حد ذاتها جعلت الحياة اليومية أكثر سهولة واختصارا .

**7.قائمة المصادروالمراجع:**

**أولا: المصادر**

1- هيدغر مارتن , تر: محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح, سنة 1984 , التقنية , الحقيقة , الوجود , بيروت ,المركز الثقافي العربي

2- هيدغر مارتن تر : اسماعيل المصدق , سنة 2003 , كتابات اساسية الجزء2 القاهرة , المجلس الأعلى للثقافة

**ثانيا: المعاجم**

1- صليبا جميل , 1982سنة , المعجم الفلسفي الجزء الاول , بيروت , دار الكتاب اللبناني .

**ثالثا: المراجع**

1- أحمد ابراهيم , سنة 2006 , اشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدغر الجزائر العاصمة , منشورات الاختلاف

2- فرانز بيتر كونزمان , بيتربوركارد ,فرانز فيدمان , تر: جورج كتورة , سنة 2007 أطلس الفلسفة ,بيروت , المكتبة الشرقية الطبعة الثانية .

3- الدواي عبد الرزاق , سنة 2000 , موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر هيدغر ليفي ستروس ميشال فوكو , دار الطليعة , بيروت..

4- بنعبد العالي عبد السلام, سنة 2000 , الفكر في عصر التقنية , المغرب , إفريقيا الشرق .

5- مجموعة مؤلفين , عبد القادر عدالة , سنة 2012 , حوار الفلسفة والعلم (سؤال الثابت والمتحول) ,الجزائر , منشورات الاختلاف .

6- مهران محمد ومحمد مدين , سنة 2003 , مقدمة في الفلسفة المعاصرة , القاهرة , دار قباء للطباعة والنشر ,

7- يورغن هابرماس تر: حسين صقر ,سنة 2003 التقنية والعلم كأيديولوجيا , كلونيا (ألمانيا ) , منشورات الجمل .